

العـــدد ٥٧٣ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٩ يونية سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

وسائل الوحدة العربية ومقاصدها

للدكتور عبد الوهاب عزام

للعرب موطن واحد أو مواطن متصلة، مترامية بين هضب إيران وبحر الظلمات. وسعة هذا الوطن لم توهن الصلات بين أرجائه المتنائية، فكانت متعاونة متواصلة، على حين لم يكن للناس من وسائل الاتصال وطرق التعارف ما كشفت لهم الحضارة الحديثة، وقد خضعت هذه البلاد كلها حيناً، ومعظم البلاد الإسلامية الأخرى لدولة واحدة الكلمة العليا فيها لرجل واحد، يشرف على هذه الأقطار الواسعة ويدبر أمورها العليا. وكأنما زويت للعرب جوانب الأرض فتدانت أطرافها أو كأنها كانت مصورة على خريطة، كما قلت في الخليفة الوليد:

دانت لسطوته البلدان واجتمعت
في همة العرب أقطار وأمصار
كأن ما بين شيخون وقرطبة
على الخريطة للرائين أشبار

فكيف وقد قرّب العلم والصناعة ما بين أقطار العالم كله، وصار ما بين مشرق الأرض ومغربها أيسر على المسافر وأقرب مما كان قديماً بين أرجاء القطر الواحد. كيف وقد صار الإنسان

يسمع الإنسان يتكلم في أقصى الأر ... ، ويعرف الأحداث التي تقع في أبعد الممالك أسرع مما كان القدماء يعرفون أحداث المدينة الواحدة

لقد طويت المسافات والأوقات وتدانت الأبعاد والآماد . فما سمة الوطن العربي بحائلة دو اتصال أقطاره وتعارفها وتعاونها وتآخيها .

ولهذا الوطن الشاسع لغة وأدب وتاريخ وثقافة ، كانت وما تزال على تطاول العصور ، وتنائي الديار ، واحدة أو كالواحدة . فأما اللغة فقد بقيت لغةُ القرآن شائعة في هذه الأقطار مسيطرة عليها ، فنشأ ما نشأ من اللغات المحلية أو العامية ، ودامت اللغة العربية ملتقى عقولهم وعواطفهم ، وترجمانَ آمالهم وآلامهم ، ووسيلة تفاهمهم وتعارفهم . فما يلتقي عربي بعربي مهما تباعدت ديارهما إلا ارتفعا قليلاً عن لغتيهما المحليتين إلى العربية الجامعة الواسعة فتحدثا بها ، وتعارفا بما علمتهما العربية من قبل من تاريخ وأدب وما طبعتهما عليه من عواطف وآداب ، وكأنهما أخوانِ فرقت بينهما الحادثات حيناً ثم اجتمعا .

وإذا تحدثنا في التاريخ رجعا إلى أواصر جامعة ، ومفاخر مشتركة . فإذا ذكرا خليفة أو ملكا أو أديبا أو شاعراً أو كاتباً أو متكلما أو محدثاً أو مفسراً أو فقيهاً أو فيلسوفاً ذكرا رجالا ليس أحدهما أولى بهم من الآخر ، وسمع كل من أخيه ما يعرفه أو ما يسره أن يعرفه من تاريخه ، وإذا تحدثا في الحاضر فبينهما على الصلات عواطف مولِّفة ، وثقافة مقرِّبة ، اجتمع على تأليفها الماضي والحاضر . وكثيراً ما لقينا العرب من غير ديارنا في أوطان عربية وغير عربية فما تناكرت الوجوه ، ولا تقاطعت الألسن ، ولا تباعدت العواطف ، ولا اختلفت المعارف إلا بمقدار ما تختلف معارف رجل عن أخيه في المملكة الواحدة والبلد الواحد

هـذا ولم يعمل العرب اليوم لنشر ثقافتهم بينهم ، وإشاعة أدبهم فيهم ، والتقريب بين عقولهم وقلوبهم ، وإنما هو ميراث التاريخ الذي لم تقو الخطوب على تفريقه ، ورباط الماضي الذي لم تجرؤ العصور على تمزيقه . فكيف إذا مهدت السبل واتخذت الوسائل لتعريف العرب بثقافتهم الموروثة وإمدادهم بثقافة جديدة مشتقة من تاريخهم وأوطانهم ، مستمدة من كل ما أخرجته عقول البشر في الشرق والغرب . كيف إذا اجتمع علماء العرب على نشر ثقافتهم القديمة مهذبة مرتبة موضحة ميسرة ، واتفقوا على إشاعة ثقافة حديثة ملائمة بيئاتهم وأحوالهم ، ثم اتخذوا في نشر هذه وتلك وسائل النشر الحديثة . إن الكتاب ليؤلف اليوم في القاهرة أو دمشق فيقرأ في بغداد بعد قليل ويقرأ في المغرب بعد حين على كثرة ما وضع من الفواصل التي أريد بها قطع المغرب عن سائر بلاد العرب . فكيف إذا نظمت الحكومات والجماعات وسائل التعليم والنشر ، ورفعت العوائق وأزالت العقبات ، وتوسلت بما يعرف العالم اليوم من وسائل .

إن العالم العربي ليصير إذن بلداً واحداً في ثقافته وتربيته إلا ما تقضي به البيئة من اختلاف بين الأقطار وبين أرجاء القطر الواحد غير مضرٍّ بالأواصر ولا مخلٍّ بالثقافة المشتركة

والحق أننا حين نتحدث في التقريب بين بلاد العرب أو التأليف بينها لا نحاول أن نخلق أو نضع أواصر وروابط ولا أن نحتال بالأوهام إلى مقاصدنا ولكنها الحقائق الماثلة ، والأواصر القائمة التي غفلنا عنها حيناً فما وهنت ، وحاول الزمان إنكارها فما خفيت ، وعالجتها الحادثات لتزيلها فما قدرت . إنها خلق الله ومن يغير على الله خلقه ، وإنها سنة الله ومن يبدل على الله سنته . وإنها الحق الذي لا يملك الباطل له تحويلاً ، والتاريخ الذي لا تستطيع الخُدَع فيه تأويلاً

بين البلاد العربية من الروابط والأواصر والعواطف ما بين كل أمة موحدة قوية ، وفيها من الآمال والمقاصد ما لكل أمة عزيزة طامحة ، ولكن ينقصها التهذيب والتدبير والتنظيم والتوضيح . ولهذه كلها وسائلها وهي يسيرة إن صحت عقولنا ونشطت أيدينا

لقد دعا العرب منذ سنوات إلى الاحتفال بذكرى أبي الطيب المتنبي . فاجتمع أدباء من الأقطار العربية في دمشق ، وتجاوبت البلاد العربية كلها بهذه الدعوة ، واحتفلت بهذه الذكرى ، فلم يخل قطر بين دجلة والمحيط الأطلسي من احتفال بالمتنبي وكتابة عنه ، وإعراب عن عواطف العرب بشعره . هذا ولم تكن الوسائل الكافية قد اتخذت للاحتفال بالشاعر الكبير ، ولكنها كانت دعوة صادفت نفوساً متعارفة ، وقلوباً متآلفة قد غذاها

أدب واحد وأيدها تاريخ واحد ، والبلاد العربية تدعو اليوم إلى الاحتفال بأبي العلاء المعري هذا العام . وكل أدباء العرب سواء في الاهتمام به ، والدعوة إلى إعظامه . وسيكون احتفال المعري ، مرآة لوحدة الثقافة في البلاد العربية

هذه الأواصر والوشائج الطبيعية والتاريخية التي تربط بين بلاد العرب لا تعمل عملها إلا إذا عنينا بها فأحكمناها ، وأزلنا العوائق من طرقها ، ووجهناها إلى الغاية المرجوة وأحسنا الانتفاع بها . وإلا بقيت كقوانين الطبيعة التي لا يهتدى إليها أو المعادن الغنية التي لا يستخرج ما فيها ، أو الأشجار العظيمة التي لا تجنى ثمراتها ، أو الأنهار الزاخرة التي لا يُستقى ماؤها . إن النيل ودجلة والفرات وبردى وأنهاراً أخرى صغيرة تجري في بلاد العرب ولكنها لا تسقيها حتى يسيطر الإنسان على مجاريها ويحوز مياهها ويسوقها إلى الأرض بالسدود والقنوات . وكذلكم هذه الأفكار التي في عقولنا والعواطف التي في قلوبنا والآمال التي في نفوسنا ، والقوى التي في أيدينا ، وكل ما عندنا وما نستحدث من علم وأدب وخلق كلها تحتاج إلى العناية والرعاية والتوجيه والاستثمار . فنحن في حاجة إلى مؤتمرات للائتمار بيننا في التعليم والتربية والاقتصاد وشؤون كثيرة ، ثم اتخاذ الوسائل التي تؤدي بنا إلى ما نؤمل من اتفاق وتعاون على بناء حضارتنا على قواعد وطيدة ، والسير إلى مقاصدنا على خطط سديدة . على أن نأخذ للأمور أهبتها ، ونعد لها عدتها ، ونعرف المقاصد ونخط الوسائل على بينة من أمرنا ، وبصر بحاجاتنا ، واعتداد بأنفسنا فنخلق من بيئتنا وتاريخنا وأحوالنا وأخلاقنا حضارة فيها من تاريخنا سمات ، وعليها من أيدينا علامات ، فليس كرامة أن تقلد ولا تبتدع ، وليس حياة أن تستعير من غيرك لباسه ، وتستجديه طعامه ، وتأخذ منه حليتك وزينتك ثم تزعم أنك نظيره ، ولكن الحياة فكر ونصب وعمل ودأب وخلق واختراع واعتداد بالنفس واعتزاز بها ، وأن تشيد بناءك بيدك لنفسك ثم للناس . إنما الحياة أن يكون للأمة على الأرض آثارها ، وسماتها وخصائصها . ولا حرج من بعد أن تأخذ من الأمم وتعطي ، ثم تعاون البشر كافة على حضارة إنسانية جامعة

وبعد فعلى الذين يهيمنون على شؤون العرب من رؤساء وزعماء وعلماء وأدباء أن يخطوا للأخلاق خططها كما يخطون للمعارف والصناعات وغيرها . فما يرتفع لأمة بناء على غير قواعد من أخلاق قوية صحيحة فاضلة . ولا يستقيم لنا في الحياة منهاج إلا على هدى الفضائل والمكارم . إننا وقد أخذتنا الفتن والمحن ، وألقت علينا الحوادث أعباء باهظة لا نستطيع أن نثبت ونجدّ إلا بمُدد من الأخلاق وأسلحة من الفضائل . ويخشى أن نتيه عن أنفسنا فنضل طريقنا ، ونفقد سجايانا ثم لا يردنا إليها الجهاد الطويل ، والجد الدائم والندم الضائع وقديماً قال شاعرنا العربي :

ما تنسج الأيدي يبيد وإنما ... يبقى لنا ما تنسج الأخلاق

وحديثاً قال شاعرنا شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فليحسن سادتنا وقادتنا القيام على أخلاق هذه الأمة ، وليحسن الشعراء والكتاب تربيتها وتغذيتها وليجنبونا كل فكرة سقيمة ، وكل معنى عليل ، ليجنبونا الألفاظ الرخوة والمعاني الدنيئة ، فلا يهبطوا بشبابنا إلى الدرك الأسفل حيث تموت الهمم ، وتخمد العزائم ، وليسموا بهم إلى المثل التي تطمح إليها النفوس الأبية القوية الطامحة

أمامنا تجاربنا وتجارب الأمم ، فلنعتبر ونتعظ ، فالسعيد من وعظته الحوادث وأخذ من الأيام العبر ، واهتدى بهدى التاريخ ، واستمع لنصائح الزمان . إن الزمان يسرع ، والحوادث تتوالى ، والأعمار تمضي ، والتاريخ يسجل والأجيال تقرأ ، فليسرع بنا التفكير والتدبير ولنُحكم الأقوال والأفعال ، لنساير الزمان بكفايته من الأهبة ، ونلقى التاريخ بملئه من العمل الصالح ، والمجد الباقي .

وبعد فالعرب اليوم ، على علاتهم ، فيهم من العقول والأخلاق وبينهم من الروابط والعواطف ، ولهم من التاريخ والمكانة ما يؤلف أمة قوية رشيدة عزيزة كريمة فاضلة . وليس لمسير القافلة إلا أن يبين الطريق وتصلصل الأجراس

وليست دعوة العرب إلا إلى الكرامة والعزة وإلى الخير والحق والوئام والسلام . وليست تهمهم إلا الخير للناس جميعاً . لا يريدون إلا أن يتخذوا مكانهم بين الأمم ، ويؤدوا نصيبهم

فى الحضارة الإنسانية، ويوفوا دينهم للتاريخ. ولن يكونوا إلا كما كانوا من قبل أنصار حق ودعاة أخوة وبناة مدنية وأئمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون. ليست دعوة العرب عدواناً على أحد ولا عداء لأحد، وإنما هى دعوة الأمة الكريمة العزيزة العادلة التى تعرف ما يجب عليها لنفسها وللناس، وتحرص على أن تحمل ما هى أهل له من الإعباء، وتشيد ما هى جديرة به من المكارم، وتأخذ حقوقها وتؤدى واجباتها على سنن بيّن من العدل والإحسان، وخطة قويمة من الهدى والرشد. والله المسؤول أن يهيء لها من كل أمر رشدا

عبد الوهاب عزام

بعث القـــديم

للدكتور محمد مندور

ليس من شك فى أن ثقافتنا الحديثة تقوم كما قلنا فى المقال السابق على أساسين: بعث التراث العربى القديم والأخذ عن أوربا، ولقد كان للحملة الفرنسية فى ذلك أبلغ الأثر وذلك لأمرين: نقل الطباعة إلى مصر وفتح منافذ بلادنا على العالم الغربى. ولا ريب فى أن عودة الفرنسيين إلى بلادهم حاملين آلات الطباعة التى كانوا قد أتوا بها إلى مصر قد أخر نهضتنا الثقافية ما يقرب من جيل، وذلك لأننا لم نستطع أن نستخدم الطباعة بعد ذلك إلا فى سنة ١٨٢٢ أى بعد الحملة الفرنسية بعشرين عاماً، وإذا ذكرنا أن حركة البعث العلمى فى أوربا لم تصب ما أصابت من نجاح فى القرن السادس عشر بعد الميلاد إلا بفضل تلك الطباعة، أدركنا أن نهضتنا الثقافية الواسعة لم تبدأ فى حقيقة الأمر إلا منذ استخدامنا لآلات الطباعة على نحو مطرد أى منذ سنة ١٨٢٢ كما قلنا، وإنه وإن تكن الجمعيات العلمية التى ألفت لنشر الكتب لم تتكون فى حقيقة الأمر إلا بعد ذلك بكثير؛ فجمعية المعارف التى أسسها محمد عارف باشا لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ وهى تشبه فى تكوينها إلى حد بعيد لجنة التأليف القائمة الآن وشركة طبع الكتب العربية التى كان من أعضائها حسن باشا عاصم وأحمد بك تيمور لم تتأسس إلا سنة ١٨٩٨؛ إلا أن حركة البعث أقدم من ذلك بكثير فهى لم تنتظر تكون الجمعيات لتبدأ، ولعل انتشار الأفكار الأوربية بفضل أعضاء البعثات كان من أهم الدوافع لذلك البعث، فرجل كرفاعة الطهطاوى قد فطن بلا ريب أثناء إقامته بفرنسا إلى أن النهضة الأوربية التى رآها قد ابتدأت بحركة بعث قوية للآداب القديمة لاتينية ويونانية، ولهذا كان يؤمن بأن نهضة بلادنا لا يمكن أن تعتمد على النقل عن أوربا فحسب، بل يجب أن تعنى إلى جانب ذلك ببعث القديم العربى.

ولقد ظهرت آثار هذا البعث فى الشعر قبل ظهورها فى النثر، وأكبر شخصية تمثل بعث الشعر هى بلا شك شخصية محمود سامى البارودى، وتلك ظاهرة من اليسير فهمها، فالنثر الذى كان شائعاً عندئذ لم يعد أن يكون: إما نثراً تعبيرياً يستخدم فى التأليف العلمى أو فى الصحافة، وإما نثراً شخصياً كالذى نجده فى الرسائل، والنوع الأول لم يكن يخلو من عجمة فى الصحف ومن نزعة للجدل والتعقيد فى التأليف. والنثر الشخصى ظل نثراً مسجوعاً لفظياً متكلفاً حتى عند أولئك الكتاب الذين نمت ثقافتهم حتى امتلكوا أفكاراً يغنيهم جمالها أو عمقها عن تزويق اللفظ كالأستاذ الإمام الذى ظل يكتب بالأسلوبين معاً، أسلوب التأليف وأسلوب الرسائل.

وفى الحق إننا لا نعرف أسلوباً يتميز به الأدب الحديث بأضيق معانيه غير أسلوب القصة، فهى أكبر مظهر من مظاهر الأدب الحديث، وليس يخاف أن القصة حديثة العهد ببلادنا وهى بمجرد ظهورها أخذت تغذى السجع بمادة الفكر وتنقله من التفاهة إلى الجد، وهذا واضح فى حديث عيسى بن هشام؛ فأسلوب المويلحى رغم حرصه على أوجه العبارة البلاغية لا يخلو من فكر وإحساس صادقين، وذلك لأن القصة بطبيعتها تقدم

للكاتب مادة ، وكل مادة تحتاج إلى العبارة عنها ، فيأتي الأسلوب محملاً بتلك المادة

ومنذ أن خطا أسلوب النثر تلك الخطوة أخذ يشيع في غير القصص حتى امتد إلى المقالة أو الموضوع القصير على نحو ما نجد عند السيد توفيق البكري الذي جمع في أسلوبه بين الصنعة اللفظية وجمال الصور الخيالية وصدق الإحساس أو أصالة الرأي . ولكننا رغم كل ذلك لا نستطيع أن نقول إن النثر قد وصل عندئذ إلى ما لم يكن بد من أن يصل إليه ليجاري النثر الأوروبي فيصبح تعبيراً مباشراً عن فكر غني أو إحساس صادق ثم يتسم رغم مباشرته بصفات الأدب كعمل فني ، وتلك مرحلة لم نصل إليها إلا في القرن العشرين . وليس من شك في أن السيد مصطفى لطفي المنفلوطي هو الذي خطا بنثرنا إلى تلك المرحلة الأخيرة . ومنذ ظهور هـذا الكاتب العظيم لم يلبث النثر أن استحصد حتى سبق الشعر

واليوم ننظر في نثرنا فنرى تيارين كبيرين ينطوي في أثناء أحدهما المويلحي والبكري ومصطفى صادق الرافعي واحمد حسن الزيات على اختلاف في الأمزجة وعمق التفكير أو الإحساس ، ولكنهم يجتمعون معاً في خاصية واحدة ، هي أنهم وإن يكونوا أبعد من أن يغلوا في شيء اللفظية التي سادت في عصور مصر الإسلامية المتأخرة ، إلا أنهم رغم ذلك يحرصون على تجويد العبارة تجويداً فنياً ، ويخضعون الفكر أو الإحساس لطرق الأداء حتى ليأخذك في أدبهم جمال الصياغة قبل أصالة الموضوع ، أو تحس بأن تلك الأصالة قد اضطرتهم إليها أصول الأسلوب التي ينتهجونها

والتيار الثاني يبتدئ كما قلنا بالمنفلوطي ، ذلك الرجل المرهف الإحساس المذب الأسلوب . ذلك الكاتب الذي غذى أجيال الشباب الناهضة أجمل الغذاء ، وبلغ من التأثير في نفوسهم ما لم يكد يبلغه كاتب آخر . ولقد كان لعدم معرفة هـذا الكاتب باللغات الأجنبية معرفة تعمق وإحساس ، ما احتفظ لأسلوبه بالسلاسة العربية الصافية . وأما غيره من كتاب هذا التيار فلن تعدم أن تجد في أسلوبهم آثاراً واضحة للتأثر باللغات الأجنبية ، وما نظننا في حاجة إلى أن ندل على ما في أسلوب كاتب كبير كطه حسين من تأثر واضح بطرق الأداء الفرنسية

وأما الشعر فقد سبق النثر — كما قلنا — إلى التحلل من سخافات الصنعة اللفظية وتفاهة المادة ، وسر هذا التحرر يرجع إلى بعث الشعر العربي القديم من جهة ، وإلى طبيعة هذا النوع من الأدب من جهة أخرى ، فنحن نلاحظ أن البارودي قد سلك إلى تكوين مذهبه الشعري نفس المسلك الذي سلكه من قبل أبو تمام ، فالشاعر العباسي قد كان دائم القراءة للشعر القديم والاختيار منه ، حتى قالوا إنه قد ألف ثمانية أنواع من المختارات ، ولا نزال بين أيدينا ديوان الحماسة شاهداً بأن هذا الشاعر كان أحسن اختياراً وتذوقاً للشعر منه خلقا له . وكذلك فعل البارودي ، فمختاراته تضم جانباً كبيراً من خير ما خلف العرب . وشعر البارودي نفسه شديد الشبه بشعر المتنبي ، كما أن شعر صبري باشا يكاد يحكي شعر البحتري ، وفي هذه الحقائق ما لا يدع مجالاً للشك في أن نهضة الشعر الحديث عندنا إنما قامت على بعث القديم ومحاكاته

وموضع التساؤل هو : كيف يستطيع شعر يقوم على محاكاة القديم أن يعبر عن حياة جديدة ؟

هذه المشكلة سبق أن واجهها الأدب العربي واقتتل حولها النقاد والشعراء ، ففي العصر العباسي سخر أبو نواس من الدمن والأطلال وبكاء دعد وإسعاد الرفيق وإلف الناقة ، وظنه تجديداً أن يخرج على تلك الأوضاع ليتناول الخمر ويداعب الغلمان ويصف القصور والحدائق . وهذه النظرية وإن تكن لها وجاهة الظاهر ، إلا أنها في الحقيقة لا تعدو أن تكون وجاهة سطحية ، فالفن ليس بهياكله ، وإنما هو بروحه وصياغته ، ولا أدل على ذلك من أننا ما نزال إلى اليوم نؤمن بأن خير ما خلف العرب من شعر هو لا ريب الحنين إلى الديار ، وذلك لأن هذا الحنين وإن لم يمت إلى تجاربنا الحاضرة بسبب من واقع الحياة ، إلا أنه رمز

فى حقيقة الأمر إلى مشاعر إنسانية عامة ، لا تزال ولن تزال من أجل ما تحمل من مشاعر ، فهو يثير فى النفس شعور الإلف والحنين إلى الماضى ، والتعلق بالأمكنة التى لا ريب لها أرواح تعلق بأرواحنا فتحملها على المحبة . والإحساس بالأمكنة وما تحوى من ذكريات ومسرات وآلام من أخصب منابع الأدب . ونحن بعد لا نحتاج إلى أن نمارس بالفعل كل التجارب التى نتحدث عنها فى أدبنا ، وإلا كنا فقراء الخيال . ومن يستطيع أن يزعم أن كاتباً أو شاعراً ما قد بلا بنفسه كل ما يتحدث عنه ؟ وهل ننسى أن جانباً كبيراً من آداب العالم أجمع لا يمثل ما عاشه كتابه بالفعل ، بل ما ودوا أن لو عاشوه ؟ والواقع والخيال يرجعان بعد فى الأدب الصادق إلى منبع واحد، هو القلب البشرى . وأساس النجاح هو أن يستثير الكاتب فينا إحساساً حقيقياً ، سواء أكان ذلك الإحساس التفاتة إلى ماض عرفناه ، أو تلهفاً إلى مستقبل نود أن نعرفه ، أو مزيجاً منهما

وإذن فعندما نسمع الشاعر الذى يقول :

ألا أيها الوادى الذى ضم سيله

إلينا نوى ظمياء ، حييت واديا !

لا نملك إلا أن نهتز ، ولو لم نر فى حياتنا سيلا ولا وادياً ولا عرفنا ظمياء

والشعر القديم أمس قرباً بالروح الشعرية بحكم موضوعه وصياغته ، فالطلل والناقة أحب إلى النفس من القصر والسيارة . الطلل يستثير معنى الفناء ، ونحن البشر لا يحركنا معنى أكثر مما يحركنا هـذا المعنى . وإن كان من نعم الله أننا ننساه أغلب الوقت ، وربما كان فى هـذه الحقيقة ما يزيده قوة حينما يثار . والناقة حيوان أليف صبور ودود ، ولا كذلك الآلة الصماء ، وصياغة الشعر القديم كموضوعاته ألصق ما تكون بحقيقة الفن . الشعر الجاهلى يجمع على نحو رائع شاعرية الروح وواقعية العبارة ، حتى ترى صورة مادية قريبة مأخوذة من واقع الحيـــاة وقد خلت من كل تكلف فاسد

لقد ابتدأ البعث الشعرى فى بلادنا إذن بإحياء القديم ، ولكن هذا الإحياء لسوء الحظ قد جنح إلى العصر العباسى ، حتى إننا لا نزال إلى اليوم أكثر معرفة ودراسة لأدب ذلك العصر منا للأدب الجاهلى والأموى ، وذلك فيما يبدو لسهولة الأدب العباسى ومشقة الأدب القديم ، ثم لأننا فيما أعتقد لم نصل بعـد من النضوج الفنى إلى حيث نؤمن بتلك الحقيقة الكبيرة التى قال بها من قبل الرجل الصادق الذوق السيد المرصفى من أن خير الأدب العربى الجاهلى والأموى .

ونحن نعتقد أن الإمعان فى دراسة ذلك الأدب الجاهلى وتذوقه هو الوسيلة الوحيدة للخطو بشعرنا التقليدى خطوة جديدة أو على الأقل لصيانته من أن ينقرض أمام تيار الشعر الحديث المستمد من الأدب الغربى

هذه هى مظاهر البعث الأدبى فى مصر المعاصرة أجملناها ، وبقى أن ننظر فى النقل عن أوربا ، وكيف أثر هـذا النقل فيما بعثنا من تراث ، وكيف تفاعل معه ليخلق نوعا جديداً من الحياة الثقافية نخشى أن يكون جانب كبير منها مفتعلا ، ولكننا نرجىء تفصيل ذلك إلى المقال الآتى

محمد مندور

٣ ـ رسائل التعليقات للرصافي

وحدة الوجود في الفلسفة اليونانية

للأستاذ دريني خشبة

ذهب الأستاذ الرصافي في تعليقاته إلى أن « وحدة الوجود » هي شيء لم تعرفه الدنيا قبل الإسلام ، وأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أول من عرفها ، وأنه لم يذكر منها شيئاً لأصحابه إلا ما لمح به منها لأبي بكر ، وإن يكن قد أشار إليها في القرآن ، ثم ظلت مجهولة حتى القرن الثاني من الهجرة حينما جهر بها المتصوفة الذين يسدهم الأستاذ وخدهم فلاسفة المسلمين (ص ١٣—١٤)

وقبل أن نخوض في هذا الحديث الذي لم نكن نؤثر أن نعرض له لو لم يدع الأستاذ الرصافي جميع المسلمين إلى الأخذ به ، عائباً عليهم أخذهم بظاهر ما أتاهم الرسول به ، وعدم فهم ما قال « محمد » في القرآن على أصله ، مستشهداً على غفلة المسلمين بكلام لمستشرق إيطالي جاهل يقول : « إن المسلمين تمسكوا بمتن الإسلام لا بروحه ، فأغمضوا عيونهم على شكل الأحكام التي أتبتها محمد ، وبقوا جامدين عليها ، فلذا بقيت على ما هي عليه من ركود وجمود ، أي بقيت ديناً ابتدائياً لا يتمشى مع كل زمان ؛ وليس ذلك من عمل محمد ، بل هو من عمل المسلمين . . . » ص ٢٠٣ ، داعياً لهذا المستشرق بألا يفض الله فاه لقوله هـذا الكلام ... فض الله فاه وأفواه الزنادقة أجمعين !

لولا هذا اللغو الذي يدعونا الرصافي إليه ، ولولا أنه طبعه في كتاب وزعه وأهدى منه ، لما آثرنا أن نخوض في إفك نهانا رسول الله عن الخوض فيه حتى لا نهلك . . . ولكن ما الحيلة ونحن نرمى بالجمود والدعوة إلى الحجر على حرية الفكر إذا دعونا إلى محاربة هذا البهتان الذي شاع في الدولة العباسية ؛ فكان في شيوعه القضاء على أمجاد المسلمين الفكرية والسياسية

قبل أن نخوض في هذا الحديث إذن نحب أن نعود بالأستاذ الرصافي ، هداه الله ، إلى ما قبل الإسلام بقرون عشرة أو نحوها . . . لنستعرض ما كان يراه فلاسفة اليونان في هذا الوجود ، وذلك منذ أن بدأت الإنسانية تتفلسف تلك الفلسفة التي نعقتها ، وإن تكن هي التي هدتنا إلى الله خالق كل شيء ... المحيط بكل شيء ، الهادي إلى سواء السبيل . وسنجتهد ألا نلتوي بالقراء في مهامه تلك الفلسفة اليونانية التي تصور لنا أخصب نضال فكري في التاريخ للاهتداء إلى الحق . ومع ذلك فلم يفز الحق منها بشيء : وسنرى أن اليونان فكروا في وحدة الوجود ، وأن مشكلات هذه الوحدة كانت تتعقد في رؤوس فلاسفتهم تعقداً يقف عند أصول مضحكة ، لأنها مزيج من خيبة الرجاء ، ومن الخبط في ظلمات لم يحن الحين للتفكير الإنساني أن يستجلي أسرارها . ومع أنه من الجرأة أن نلخص هذه الأفكار المتضاربة في عمود أو عمودين من أعمدة هذه المجلة ؛ إلا أننا مضطرون إلى ذلك ، لنضحك آخر الأمر على وحدة الوجود التي تملأ أدمغة متصوفينا ، كما ضحكنا أياماً ونحن نكب على الفلسفة اليونانية نتأملها ونتدارسها عسى أن تهدينا إلى شيء نفرح به

١ — فكر طاليس في نشأة الموجودات ، حية وجامدة ، فزعم أنها نشأت من الرطوبة[1] ولكن كيف نشأت ؟ هذا ما لم يستطع طاليس أن يفسره

٢ — ثم زعم تلميذه أنجزماندر أنها خلقت من مادة غير معينة ولا محدودة[2] ، وذلك بالانفصال عنها ، ثم قضى الله عليها بالفناء في تلك المادة ثانية للأنانية التي أبدتها في أن تكون لها حياتها المستقلة !

٣ — ثم زعم أنجزيمنس أنها البخار Vapour—âap ، وأن الأشياء قد خلقت منه ، إما بالتكاثف (السحاب والماء والتراب) أو بالتخلخل (النار والشموس) !

٤ — ثم جاء فيثاغورس وأتباعه الذين اقتدوا بأورفيوس الموسيقي في تقشفه وزهده واتخذوا البياض شعاراً له وسموا إلى تطهير النفس من أدران المادة بالتفكير الفلسفي فزعموا أن الأشياء قد خلقت من العدد (!!) وملأوا فلسفتهم

(١) Moisture (٢) Infinite Undefined

بالألغاز التى لا يفهمها من ليس ... طائفتهم

٥ — ثم كان أجزنوفانس ... شد الذى ثار بأساطير هومر الإلهية ودعا الناس إلى عبادة ا... الواحد الذى ليس كمثله شىء والذى تنزه عن الأعضاء ، فهو ... ع كله سمع ، وبصير كله بصر وعاقل كله عقل ... موجود فى كل الوجود Omnipresent إلا أنه كان يؤمن بأن الله (...) فى العالم ، وأنه ليس شيئاً غيره ، وهو لذلك أول قائل بوحدة الوجود

٦ — ثم جاء بارمنيدس فأ... كر كل ما تدركه الحواس ولم يؤمن إلا بما يدركه العقل ، وذهب إلى أن كل شىء غير الوجود ـ الكينونة ! ـ خداع ووهم ، لأن المحسات كلها فانية والوجود وحده هو الأزلى الخالد ، إلا أنه عاد فاعترف بكرية الوجود وأنه يشغل مكاناً وفى ذلك اعتراف ضمنى بمادية الوجود ... !

٧ — ويؤيد الفيلسوف زينو ما ذهب إليه بارمنيدس ، وينكر الحسيات والتعدد والحركة (وسبحان واهب العقول !) فكأنما العالم عند هؤلاء عالمان ، عالم الوجود المعنوى ، وعالم الوهم (اللاوجود) الحسى ـ أما ما هى العلاقة بين العالمين فلم يحاولوا تبيانها

٨ — ويجىء هرقليطس فينقض آراء من تقدموه ، ويعترف بالتقاء عالمى الوجود واللاوجود ، بل بالتقاء المتناقضات كلها ، محتجاً بأن التناقض هو فى نظرنا فحسب ، ثم يرتأى أن العالم كله مخلوق من النار ، وأنه دائم التحول لا يثبت على حال واحدة لحظة واحدة ، وأن العقل الإنسانى والحياة الإنسانية هما قبضة من تلك النار تشتعل بالحواس والتنفس ـ ودوام التحول هو دوام الاشتعال nüp ، إلى أعلى way up وإلى أسفل way down الخ

٩ — ثم يأتى إمبذوكلس فيرد المخلوقات إلى أربعة جذور (عناصر !) : التراب والماء والهواء والنار ، ويزعم أنها لا تتغير فى طبيعتها وأن الذى يقوم بالاتصال بينها هو الحب (الجاذبية) وأن الذى يقوم بالانفصال بينها هو البغض (التنافر) . ويتناوب الحب والبغض بجميع العناصر وتفريقها إلى الأبد ، فمرة ينتصر الحب فيصير الكون كله مزيجاً « وحدة » وأخرى ينتصر البغض فتتفرق العناصر

١٠ — وتأتى نوبة الذريين ، فيقول دِمقريطس[1] إن العالم يتركب من ذرات seeds يدفع بعضها بعضاً ، خبط عشواء (!!) فيناقضه أناجزا جوراس الذى يقول بتعدد العناصر وبوجود قوة عاقلة مدبرة حكيمة هى « العقل » أو ما يسميه هو Noös تتولى تحريك تلك العناصر وتوجيهها وجهة غائية صالحة تضمن جمال الكون ونظامه ، إلا أنه يعتقد قدم العقل والعناصر على السواء وأن أحدهما لم يخلق الآخر ، وإن حرك العقل العناصر وألف معها « وحدة الوجود ! » ـ ومع ذلك فقد ظل اثنينياً آخر الأمر

١١ — ويأتى « دور » السوفسطائيين الذين يعنون بالحياة العملية ، ويهملون الفلسفة النظرية ، وزهدوا فى المناقشة حول الآلهة ... ويقول أحدهم « بروتاجوراس » : « إننى لا أستطيع أن أقرر إن كانوا موجودين أو غير موجودين ، كما لا أستطيع أن أستبين صورهم ، وإن حياتنا القصيرة لا تساعدنا على معرفتهم معرفة صحيحة لشدة الغموض الذى يكتنفهم ! » وبهذا أثاروا الشكوك وزعزعوا العقائد ، وإن خدموا الثقافة خدمة جليلة .

١٢ — ويصلح سقراط ما أفسده السفسطائيون ، وينشىء نظرية المعرفة القائمة على الإدراكات العقلية والمعانى الكلية ، والتى جعلها أساساً للفضيلة كما جعل الجهل أساساً لكل الشرور ، وتجاهل عواطف المرء وشهواته ؛ فكانت نقطة الضعف فى فلسفته التى ردت إلى الناس إيمانهم بالحقائق الخارجية على أساس ثابت غير الأساس القديم الساذج الذى هدمه السوفسطائيون . وقد انقسم أتباع سقراط بعد موته إلى طوائف ثلاث ، فانصرف الكلبيون عن زخرفة الحياة وآثروا التقشف ، وزهدوا فى العلوم والفنون . بل دعوا إلى الجهل مكتفين بالفضيلة التى تكفل لهم السعادة ! أما القورينيون فقد خالفوا الكلبيين فى طريق الوصول إلى الفضيلة ولم يروا السعادة فى الزهد والتقشف ، بل رأوها فى اللذة والاستمتاع بكل ما تصبو إليه النفس فى حدود الاعتدال حتى لا تكون النتيجة شراً ، وكلما كانت اللذة حسية كانت فى نظرهم أضمن جلباً للسعادة من اللذة الذهنية ، ولهم فى شرح اللذات كلام طويل عجيب — أما الميجاريون فقد

(١) أسقطنا من السلسلة أستاذه الفيلسوف ليكيوس ولأنه يكن هو صاحب النظرية

نشدوا السعادة — أعني الفضيلة — في حياة التأمل والمعرفة — في التعمق الفلسفي ، واستكناه حقيقة هذا الوجود

١٣ — ثم كانت نظرية المثل التي قال بها أفلاطون ، وأن لكل شيء مثالاً من الكمال مجرداً من الحس يسمو إليه ، فهو يجعل المُثل ذوات مستقلة عن الأشياء لها وجود قائم بنفسه ، وجعل مثال الخير أساس جميع المثل : ومع أن أفلاطون يعترف بوجود إله خلق العالم ويمسكه ويدبر أموره فهو يتردد بين الوحدانية والتعدد ، ولا يحدد العلاقة بين الله ومثال الخير ؛ والعالم عند أفلاطون عالمان . عالم الحقيقة وهو عالم المثل ، وعالم الظواهر وهو هذا العالم المحس ، وهو صورة لعالم المثل . ثم هو يؤمن بالتناسخ ، فتعود النفس السعيدة إلى عالم المثل وتبقى فيه حقبة ثم تعود فتحل في إنسان آخر ؛ فإن كانت شقية عذبت قليلاً ثم حلت في جسم مخلوق وضيع ، والسعادة عند أفلاطون هي الإحاطة بعالم المثل ، وفهم العلاقة بين المثل والمحسوسات والتمتع بالمتع البريئة ، ثم تحصيل أكبر قدر من الثقافات ، وترانا من أفلاطون أمام ثالوث عجيب : المادة ، والمثل ، والله ، وكلها قديم . وهذا هو الضلال

١٤ — وقد نقد أرسطو نظرية المثل وهدمها من أساسها لما خلق أفلاطون من هذا العالم الخيالي الذي يوازي هذا العالم المدرك ، ولأنه لم يستطع تعليل كليهما ولا تعليل الحركة في العالم الثاني . وقد رأى أرسطو أن سبب هذه البلبلة في أفكار الفلاسفة هو عدم وجود قواعد ثابتة تضبط أفكارهم وكلامهم فاخترع المنطق لهذا الغرض . وقد عرض لمسألة الله وخلق العالم فنفى الزمنية بينهما ، بل جعلهما مقترنين ، اقتران المقدمة بالنتيجة ، فلم يكن الله أولاً ثم كان العالم . وبهذا كان العالم قديماً عند أرسطو ... والله عنده هو الكمال المطلق والعلة الصورية الغائية التي تحرك هذا العالم بجذبه إليه . وهذا هو الترقي ، اقتراب العالم من الكمال المطلق ... وما دام العالم قديماً فهو لا أول له ... وكذلك لا نهاية له . . . واضطرب أرسطو في تصور ذات الله ، هل له وجود مستقل مشخص ، أم ليس له هذا الوجود المشخص المستقل ؟ تقول أرسطو مرة إن الله يحيا في سعادة أبدية ، وأنه هو الوجود المطلق يدل على التشخيص والوجود المستقل ؛ ولكن تعبيره عنه مرة أخرى بأنه هو الصورة المجردة يعني أنه من مادة لا وجود لها ... وعلى هذا فلا وجود له إلا هذا الوجود المعنوي . وليس بعد هذا اضطراب في فلسفة المعلم الأول الإلهية . أما فلسفته الطبيعية فسليمة لا غبار عليها ، إذ تتبع هذه الفلسفة نشوء العالم من الهيولى إلى الصورة ، وإن فضله درون في هذا الباب

* * *

وبعد ، فكيف بعد هذا العرض السريع لهذه الناحية من نواحي الفلسفة اليونانية يزعم الأستاذ الرصافي أن وحدة الوجود هي شيء إسلامي بحت لم يعرفه إلا محمد ، ثم فلاسفة المتصوفة المسلمين بعد محمد بقرن أو قرنين من الزمان ؟!

ثم ماذا أصاب الفلاسفة اليونانيين من الهلكة والتخبط ، من لدن طاليس أول فلاسفتهم إلى أرسطو أعظم مفكريهم ، بسبب القول باندماج الله في العالم أو العالم في الله ... إلا من هدى الله !

أما الرد على الأراجيف التي تنشأ عن هذا الإفك ، فليس هذا أوانه

دريني خشبة

٢ ـ التناقض
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

إن الأمثلة التى ضربناها لتناقض صاحب الكتاب لا تمثل كل مظاهر فساد التفكير الفاشى فى الكتاب ، وليست هى كل أمثلة التناقض فيه على الرغم من أن أكثر الكتاب تراجم ونصوص فى كثير منها طول ، وهذه وتلك تقى بطبيعتها صاحب الكتاب أن يظهر عيوب تفكيره اللهم إلا إذا تطوع بالتعليق

فمن أمثلة وقوعه فى التناقض حين يأخذ فى التعليق وهو يترجم لرجال القرن الرابع ما وقع فى كلامه على ابن شهيد ؛ فقد روى لابن شهيد رأياً يناقض صريح رأى زكى مبارك فى الأسلوب ، وأقره على ذلك الرأى فهدم بذلك رأى نفسه وناقض من حيث لا يدرى . روى له فى صفحة ٥١ من الجزء الثانى قوله : « إن للحروف أنساباً وقرابات تبدو فى الكلام ، فإذا جاور النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب ، طابت الألفة ، وحسنت الصحبة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك حسنت المناظر وطابت المخابر » إلى آخر ما روى له . ثم علق عليه بقوله : « وهذا كلام جيد ، وأجوده ما نص فيه على أن للحروف أنساباً وقرابات تبدو فى الكلام ؛ فإذا جاور النسيب النسيب ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة » وليس لتعليقه هذا معنى إلا أنه يقر للأسلوب بما أنكره مراراً من قبل . فإن تناسب الحروف من صميم الأسلوب أو هو الأسلوب صرفاً ، لأنه يتعلق باللفظ والصيغة دون المعنى . فهذا نص لا يستطيع صاحب الكتاب تمحلاً ولا تأويلاً له ، يضاف إلى ما ناقض به نفسه سابقاً فى أمر الأسلوب ، وينقض عرضاً كل ما كتب عن أسلوب القرآن ، لأن القرآن الكريم هو المثل الأعلى لهذه الظاهرة البلاغية التى نبه إليها ابن شهيد ، وأقرها واستجادها زكى مبارك فى غفلة من ذاكرته وهواه . على أن هناك نصوصاً أخرى له غير التى سبق ذكرها ينقض بها مذهب نفسه فى الأسلوب وإنكار مكانته قد تأتى لبعضها مناسبة فنذكره

ومما جاء فيه صاحب الكتاب بقول يخالف استقامة ألسنة الأعراب . فهو يقول فى صفحة ٥٥ من الجزء الأول : « وأرى من المضحك أن يظن أن العرب لم ينتبهوا إلى وقوع اللحن فى لغتهم إلا بعد الإسلام ، وأن اتصال العرب بالأعاجم هو الذى رماهم باللحن ، كأن لغة العرب بدع من اللغات لا يلحقها تغير ولا تبدل ، وذلك رأى واضح البطلان » وهو هنا يخلط بين اللحن وبين التغير الطبيعى الذى يطرأ على اللغة بالتدريج فى الدهر الطويل والذى نشأت وتنشأ عنه اللهجات ، والذى لا يمكن أن يعد من اللحن بحال . لكن لا علينا ، فنحن هنا لا ننظر فى صحة نتائجه ، ولكن فى اتساق تفكيره ؛ إذ النتائج قد يرجع بطلانها إلى فساد المقدمات مع اتساق التفكير أو إلى فساد التفكير مع صحة المقدمات ، كما قد يرجع طبعاً إلى فسادها معاً . فلتكن مقدمات صاحب الكتاب ما تكون أفهو متسق التفكير ؟

لقد أشار إلى هذه النقطة فى موضعين آخرين على الأقل . أشار إليها عرضاً فى صفحة ٥٨ من الجزء الأول حين أراد توكيد تأثر نثر الصدر الأول بالمدنيات الأجنبية . قال : « ولا عبرة بما عرف عن فريق من العرب من الحرص على تربية أبنائهم تربية عربية صرفة ، فإن هذا لم يكن يراد به صرف الشباب العربى عن فهم المدنيات الأجنبية ، وإنما كان يراد به حمايته من العجمة التى كانت تعيب الأرستقراطية العربية ، وتجعل صاحبها موضع السخرية بين معاصريه » وهو بهذا يشير طبعاً إلى ما هو معروف عن العصر الأموى من إرسال بعض الأمراء والخلفاء أبناءهم إلى البادية لينشأوا فيها على استقامة اللسان والسلامة من اللحن . لكن اقرأ الآن له من صفحة ٢١ من الجزء الثانى : « فإننا نرتاب فى سلامة الأعراب من اللحن والغلط ، ونرى أنهم قد يلحنون كما يلحن المولدون » ! إذن ففيم كان إرسال الأبناء إلى البادية حماية لهم من العجمة التى كانت تعيب الأرستقراطية العربية ؟ لقد كان ذلك عبثاً إن صح رأى صاحب الكتاب فى أن الأعراب قد يلحنون كما يلحن المولدون . ولو وقف قول صاحب الكتاب عند هذا لكان

الخلف خفياً بين طرف أقواله الثلاثة وبين أوسطها ، ولجاز أن يلتمس له شيء من عذر ، لكنه ـ وهذا موضع العجب ـ علق على قوله الثالث في الهامش بما يأتي :

« ويجب أن نذكر أن الشعر الجاهلي والأموي كان يجري على قواعد من النحو لم تأخذ صيغة نهائية في التحديد والترتيب ، كما اتفق ذلك في العصر العباسي ؛ فأغلاط الجاهليين والأمويين ليست أغلاطاً بالقياس إلى لغتهم هم ، وإنما هي أغلاط بالإضافة إلى اللغة التي حدد قواعدها النحويون » ! إذن فلم رميهم باللحن حين لا لحن ما داموا كانوا ينطقون طبق لغتهم هم ، وافقت نحو العصر العباسي أو خالفته ؟ إن هـذا الرجل لا يدري أنه يقوله هذا قد نفى تطرق اللحن والعجمة إلى الأمويين في الوقت الذي ينسب فيه الجاهليين إلى اللحن في صلب كتابه ، ولا يدري أنه بجعله الشعر الجاهلي والأموي يجري على نحو رجراج كالذي يدعي ويتوهم يصطدم بالسبب الذي من أجله زعم أن نشأة علم النحو قديمة في الجاهلية ، ألا هو جرى القرآن « على نمط واحد في أوضاعه النحوية لا يختلف في ذلك إلا باختلاف رواته من القبائل المختلفة » إذ كيف يمكن أن يجري القرآن على نحو واحد ولا يجري الشعر ؟ وإذا كان القرآن لا يختلف نحوه إلا باختلاف القبائل فلم لا يكون الشعر أيضاً كذلك ؟ إن الرجل يعترف من حيث لا يدري باطراد النحو في لغة كل قبيلة ما دام اختلافه من اختلاف القبائل ، ويعترف بأن اللغة في جملتها تجري على نحو واحد ما دامت لا تختلف إلا في المواطن اليسيرة التي تختلف فيها الرواية في القرآن حسب اختلاف القبائل عند هذا الرجل ، وإذن فلا معنى لترجرج نحو اللغة في العصر الأموي وانعقاده في العصر العباسي إلا أن هذا الرجل أراد أن يأتي بجديد يخالف به علماء العربية فوقع في خلف بعد خلف في النقطة الواحدة وفي العبارة الواحدة ، سنة الله في الباطل وأهله

على أنه لا حد فيما يظهر لباطل هذا الرجل ، ولا نهاية لتخبطه ؛ فقد تعرض للقرآن مرة أخرى حين ترجم لابن فارس وحاول نقد آرائه ، لكنه ترقى في هذه المرة فاقترح أن يفرد للقرآن نحو خاص ! إي والله ! واقرأ له إن شئت من هامش صفحة ٤٢ من الجزء الثاني : (والقرآن يجب أن يفرد له نحو خاص ، وكذلك الأدب الجاهلي والأموي ، ولغات العالم كله تعترف بما يسمى « النحو التاريخي » ونحن في حاجة إلى ذلك النحو لتوجيه بعض ما يبدو شاذاً من تعابير القرآن) ! أفكان علماء العربية ينتظرون صاحب النثر الفني حتى يجيء بذلك النحو الخاص لتوجيه « بعض ما يبدو شاذاً من تعابير القرآن » ؟! وفيم كانت علوم العربية كلها إن لم تكن لفهم القرآن وتبيان ما يبدو لهذا الرجل شذوذاً في القرآن ؟ وشذوذاً عما ذا ؟ عن نحو لغة قريش وهو معترف بأن القرآن يجري على نمط واحد في أوضاعه النحوية إلا إذا كان الراوي من قبيلة غير قريش ؟ أم عن نحو لغات القبائل الأخرى وهو يعترف أن لغة القرآن إنما هي لغة قريش ؟ فما الحاجة إلى نحو جديد إذا كان القرآن يجري — وكان الأدب الجاهلي والأموي يجري — إما على نحو لغة قريش أو على نحو لغة قبيلة أخرى في المواطن القليلة التي تختلف فيها القبائل عن لغة قريش ؟ أمن أجل وجود نحو تاريخي للغات العالم ، يريد أن يوجد نحواً تاريخياً للقرآن ؟ إنه إذن لا يفهم ما النحو التاريخي ولا لماذا وجد في لغات العالم . إن لغات العالم الحاضرة تغيرت بالتدريج عما كانت عليه ولو من قرون قليلة ، فلغة شاكسبير مثلاً غير لغة ماكولي وولز ، ولا أحسب لغة بوالو وراسين عين لغة هوجو وأناتول فرانس . والنحو التاريخي للانجليزية أو الفرنسية يبين الاختلاف الذي طرأ فيما بين ذلك على الإنجليزية أو الفرنسية ، فأي شبه بين عربية القرآن والأدب الجاهلي والأموي وبين الإنجليزية أو الفرنسية من هذه الناحية ؟ لو كان هذا الرجل يكتب عن فهم لا عن تقليد ببغائي ، لأدرك أن النحو التاريخي للغة القرآن هو نحو نشأة المدنانية عن أصلها في ماضي العربية السحيق ، وهذا لو أمكن الوصول إليه لا يفسر ما يبدو لهذا الرجل شذوذاً في القرآن ، لأنه لا شذوذ هنالك إلا إذا كان نحو الجاهلية الأولى هو الأصل وإذن يكون أكثر نحو العربية المعروف شذوذاً ، كما إن أكثر نحو الإنجليزية أو الفرنسية الحاضرة شذوذ بالإضافة إلى نحوهما في الماضي السحيق . فصاحب النثر الفني يكتب من غير علم ولا ترو ولا تفكير سديد ، أو هو رجل راكب في البحث هواه (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)

محمد أحمد الغمراوي

كل يوم لنا عتاب جديد

للدكتور زكي مبارك

قرأت كلمة الأخ الكريم الأستاذ دريني خشبة فرأيته يصرح بأني خاصمت الرسالة وخاصمت الأستاذ الزيات ، لأنهما أطلقا العنان لحرية النشر وحرية الفكر وحرية المجادلة ، فهل يكون معنى هذا أني أحارب تلك الحريات ، وأني أبتغض من يتعرضون لنقد ما يصدر عن قلمي ؟

لا شيء من ذلك ، فهذا الأخ يعرف مبلغ حبي لحرية الرأي ، وإنما أراد أن يتلطف فيدعوني إلى الصلح بذلك الأسلوب الرقيق ، ولعله لو انتظر أياماً لرأى كيف يسعى الأستاذ الزيات إليّ أو أسعى إليه ، فبيننا أواصر أخوة لا يزلزلها خصام ولا قتال ، ونحن أعقل من أن نختصم بصورة لا ينفع معها صلح ، فالعقل الذي يوحي بمجاملة الأعداء رغبةً في تحويلهم إلى أصدقاء ، لا يقبل أبداً محاربة الأصدقاء ليحولهم إلى أعداء

والدنيا لا تسمح في كل يوم بخلق صداقة كالصداقة التي بيني وبين الأستاذ الزيات ، ولعلها لن تسمح أبداً ، فقد تبدلت الدنيا من حال إلى أحوال ، حتى كادت تصيّر الصداقة الصحيحة من ضروب المحال

وما بيني وبين الأستاذ الزيات من الوداد قد تعرّض لمكاره كثيرة ، فقد كان لنا في كل يوم عتابٌ جديد ، وكان حين يتعب مني يقول : كيف أستطيع أن أصلح ما بينك وبين الناس ولا أستطيع أن أصلح ما بينك وبيني !

والخصومة الأخيرة لم تكن مما يحب ، لأنها وقعت بعد صلح شهده أبنائي قبل أسبوعين اثنين ، ولهذا قال وهو يعاتب : ما الذي سيقول أبناؤك ؟

وكان الجواب حاضراً ، ولكني لم أجب ، ولو أني أجبت لقلت : إن أبنائي تعجبوا من أن يسمح الأستاذ الزيات بنشر كلام يزعم كاتبه أني أحارب القرآن ، وأحارب الدين ، مع أنهم يرون في كل يوم أني أدعوهم إلى المحافظة على الصلوات

وكيف أستطيع أن أقول للأستاذ الزيات : وما الذي تقول أنت إن عاتبك ضميرك وأنت تعرف أني أديت للإسلام خدمات لن يؤدي بعضها من يتهمونني في إسلامي ؟

ولكني لم أقل شيئاً ، وتركت الأستاذ الزيات ينشر سلسلة من المقالات لرجل حاقد شوى قلبَه الحقدُ عشرين عاماً أو تزيد ، وقد قدمت للأستاذ الزيات ردّين فطواهما عن عمد ، لأنه رآني أحاسبه ولا أحاسب ذلك الحقود ، فكيف رغب الأستاذ الزيات في أن ينجو من حسابي ، وهو حسابٌ يحمل أنفاس العتاب ؟

وما الذي يقع إن طوى الأستاذ الزيات هذا الرد أيضاً ليصورني أمام قرائه بصورة من يأبى الصلح ؟

لن يقع شيء ، فقد كتبت عشرين رداً ، ثم مزقتها جميعاً ، رعايةً للمودة الغالية التي تفيأنا ظلالها عدداً من السنين ... وللأستاذ الزيات أن ينسى أني عرفته أو عرفني ، فأنا نفسي تناسيتُ فنسيت ، ولم يعُد بيني وبين الرسالة من صلة غير متابعة ما يُنشر فيها من الأبحاث الجياد

كان رأيي أن معاونة الرسالة فريضة على كل مصري ، لأنها صوت مصر في الشرق ، ولم يقع ما يغيّر هذا الرأي ، فالرسالة باقية بإذن الله ، وسأعاونها ما حييت ، وسأتذكر في كل وقت أنها كانت لقلمي أجمل ميدان ، وأرحب ميدان

والله عز شأنه هو الذي أراد أن يقع ما وقع ، فما كان يخطر في بالي أن لقراء الرسالة نحو كتّابها عواطف تصل إلى حد العشق ، ولا كنت أتوهم أنني سأتلقى في كل يوم خطابات من قرائي في مصر والشام والعراق ، خطابات كلها أسف على ما قيل من أني خاصمت مجلة الرسالة وخاصمت الأستاذ الزيات

وأنا لا أستكثر أن يزعج قرائي افتراقي ، فما كذبت عليهم في حرف ، ولا صارحتهم بغير الحق ، ولا تخوفت من تمردهم على الصراحة ، ولا دعوتهم إلى مصانعة الباطل في سبيل المنافع الفانية

والأستاذ الزيات يعرف كيف جنى قلمي على حياتي ، وكيف خلق لي ألوفاً من الأعداء ، وكيف قضى بأن أعيش في وطني عيش الغريب

وهل ينسى حزنه لحزني يوم نجح بعض الحاقدين في محاربة الحوار الذي أدرته على لسان آدم ولسان حواء ؟

وهل ينسى المأتم الذي اجترعناه معاً ونحن نعاني ثورة

الجهّال على القلم البليغ ؟

مضى ما مضى ، وأصبح ودادى للأستاذ الزيات طيفاً من أطياف التاريخ ؛ فلم يبق إلا أن أنص على ظاهرة خطيرة ، ظاهرة مؤذية تزلزل المجتمع الإسلامي من حين إلى حين ، وهى تتمثل فى غرام الجاهلين بالنض من عقائد المثقفين ، ليقولوا إنهم وحدهم أهل الإيمان ، وليعزّوا أنفسهم عن جهلهم البغيض ، وتلك تعزية كانت تنفع فى الأيام الخوالى ، ولكنها اليوم أضيع من الضياع

كنا نجد فى عبارات المؤرخين عند التعرض لأحد المفكرين أمثال العبارة الآتية :

« وكان غفر الله له يُتهَم بالنظر فى العلوم العقلية »

فهل تبقى هذه العبارة وأمثالها على ألسنة بعض الخلق فى هذا العهد ؟

وأنا أوجّه الأسئلة الآتية إلى من يدّعون التفرد بالغيرة على الدين الحنيف :

إذا عجز الإسلام عن غزو قلوب المثقفين فإلى من يُصوِّب سهامه الروحية ؟

وإذا صح أن الإيمان الحق هو إيمان العجائز فما هو مصير أهل الشباب والعافية ؟

وإذا كان الجهل بشيراً بصحة العقيدة ، فما الموجب لإنشاء المعاهد العالية ؟

أتريدون الحق ؟

الحق أنى لن أيأس من أن يظفر المثقفون بمكانتهم فى المجتمع الإسلامى ، فقد نزعنا راية الإسلام من أيدى الجهلة ، وصار إلى أقلامنا المرجع فى شرح أصول الدين ، والمسلمون كلهم يشهدون بأن أقلامنا هى التى تبصّرهم بجمال الشريعة الإسلامية ، وجمال اللغة العربية ، والله يؤتى الحكمة من يشاء

أقلامنا هى التى تشرح دقائق الأدب العربى ، وسرائر الدين الإسلامى ، ولن نترك هذه الميادين للجاهلين ، ولن نرحم أعمارهم التى تضيع فى اتهامنا ظلماً بالزيغ والإلحاد

وإذا ألحدنا فمن يؤمن ؟

أيؤمن الجاهلون وقد حجبهم الجهل عن الإيمان ؟

على أنفسهم فليبكوا ، إن كانوا صادقين ، فما فوق غفلتهم غفلة ، ولا فوق جهلهم جهل ، وهم حطب جهنم ، ولكنهم لا يشعرون

الإسلام دين العقل ، لا دين الجهل ، ونحن بفضل الله ومشيئته ورعايته أنصار هذا الدين ، ولن يتلقى المسلمون مبادئه إلا عن أقلامنا ، فليرحم نفسه فلان الفلانى ، وليطمئن إلى أن متاعبه فى محاربتى لن تنال منى إلا بقدر ما تنال النمال فى نسف الجبال

لقد سمحت مجلة الرسالة لفلان الفلانى أن يشطح وينطح فى نقد كتاب النثر الفنى ، فماذا صنع ؟

انبهرت أنفاسه وانقطعت بعد خمس مقالات هى من الهزال بمكان !

هل كان الأستاذ الزيات ينتظر هذه العاقبة لذلك الفلان ؟

اسمع كلامى يا صديق الزيات ، اسمع كلامى ثم اسمع ؛ فما كنت نبياً حتى تزعم القدرة على بعث الأموات ، ولا كنت سينمائياً يُنطق الصور الهوامد من وراء حجاب

قد أثق بقدرتك على المستحيل يا صديقى الزيات ، ولكنى أستبعد كل الاستبعاد أن تقدر على خلق ذلك الفلان

ولك أن تجرّب حظك إن أردت ، لك أن تحاول مغاضبة الله فتحيى من أراد الله أن يموتوا ، لأنهم جاهلون ، وإن زعموا أنهم علماء وأحياء

جرِّب حظك يا صديقى ، فنحن فى أزمان التجاريب ، وقد تصل إلى أشياء لا تخطر فى البال

وأسارع فأقرر أن تجاحك فى تجاريبك لن يصل إلى الزعم بأن إيمان الضفادع أشرف من إلحاد الرجال

لقد فرح فلان الفلانى حين رآنى أعترف بصحة ما رواه عن كتاب النثر الفنى ، وأنا أرجو الأستاذ الزيات أن يخبرنى أنه رأى كتاباً فى الأدب العربى أعظم وأعمق من كتاب النثر الفنى

إن الأستاذ الزيات يؤرخ الأدب ، فليحدثنى عن كتاب هو أعظم من كتابى ، إن كان يستطيع ، ولن يستطيع

إن ذلك الناقد الحاقد لكتاب النثر الفنى وقف عند مسألة شائكة ، وهى المسألة الخاصة بآرائى فى إعجاز القرآن ، ولم يقف

عند هذه المسألة إلا لأنه يعرف أن الظروف لا تسمح بأن أجازيه عدواناً بعدوان، ولو أني وثقت بأن كلامي يُنشر في الرد عليه لوضعت وجهه في الحضيض، لأني في نظره ملحد، ولأنه في نظري جهول، وقد عشنا حتى نرى التهمة بالإلحاد أخف من التهمة بالجهل!

ثم ماذا؟ ثم يبقى ما حدثنا به الأستاذ دريني خشبة عن الكتاب الذي أصدره الأستاذ معروف الرصافي نقداً لكتاب النثر الفني وكتاب التصوف الإسلامي

ومعنى هذا أني وجدت فرصة تشغلني بالأستاذ معروف الرصافي عن ذلك الفلان، فليحمد الله ذلك الفلان، وليثق بأنه في أمان

سأرى ما يقول الأستاذ الرصافي، وسأرد عليه حرفاً بحرف، لأنه من أكابر المفكرين بالعراق، ولأنه شغل نفسه بمؤلفاتي شغلاً يستوجب الثناء.

زكي مبارك



في معرض الفن

للأديب نصري عطا الله سوس

عناصر العمل الفني هي إحساس الفنان وتخيله، وشخصيته الخالقة التي تحيل مشاعره وتأثراته إلى مادة جديدة لها طابعها الخاص، والرغبة الملحة في الإنتاج، والقدرة على الأداء، ثم التوفيق في الإخراج

وتقاس قوة العمل الفني بقوة هذه العناصر مجتمعة، كما يتسرب الخلل إليه بقدر ما يتطرق الضعف إلى أحد هذه العناصر أو بعضها

كما يجب أن تكون هذه العناصر في حالة توازن، فلن تجدي قوة الأداء شيئاً إذا كانت العاطفة ضعيفة أو فجة. والفنان الكبير حين تعوزه الرغبة في الإنتاج ويقسر نفسه عليه قسراً، يأتي عمله الفني مشوشاً مضطرباً تنقصه الطواعية: ذلك الإحساس الذي يتملك الفنان حين مؤاتاة الملكة فيشعر أنه في يد قوة أكبر منه تسوقه وتلهمه وتختار له الألفاظ الدالة أو الألوان المعبرة ...

هذه مبادئ أولية — أو أظنها كذلك — ولا أدري كيف غابت عن عقول أعضاء اللجنة التي اختارت هذه المجموعة من اللوحات وجعلت منها معرضاً للفن[1]، إذ مستوى المعرض في مجموعه أقل من المتوسط بكثير ونسبة الجيدين فيه قليلة جداً. وأنت إذ تلقي نظرة عابرة على ما في المعرض من لوحات يفدحك الإحساس بأن بعض هؤلاء المصورين قد قضوا أعمارهم في غرف مغلقة فلم يروا من محاسن الطبيعة أو جمال الكون شيئاً، وإلا فلما اختاروا هذه الأشكال الغثة الرثة للتعبير عن عواطفهم وإحساساتهم!؟

وفيما يلي بعض أرقام قد تلقي بعض الضوء — أو تهيء بعض العذر للذين يحكمون على هذا المعرض حكماً قاسياً كما فعل ناقد في إحدى الجرائد الأجنبية المحلية فقال إن صور هذا المعرض قد طبخت طبخاً وأنه معرض كئيب!

بلغ عدد العارضين ١١٦ بينهم ٢٧ آنسة وسيدة

وبلغ عدد الصور ٣٥٨ منها ٨٥ للسيدات

وبلغ عدد التماثيل ٢٨ تمثالاً

وبلغ عدد الذين ينتمون إلى الرسم بحكم المهنة — من مدرسين وطلبة بمعاهد الفنون — ٣٧ رساماً ومثالا، عرضوا ١١٨ صورة وتمثالاً

ونحن لا ننكر على بعض هؤلاء الموهبة الفنية، ولكن امتلاكهم ناصية الأداء بحكم المهنة يغري البعض الآخر باقتحام قدس الفن وليس في مكنتهم إلا الإساءة إليه وانتهاك حرمته، كما يفعل كثير من طلبة الأزهر ودار العلوم حين يتوهمون أنهم شعراء لأنهم درسوا اللغة العربية والعروض!

* * *

(١) معرض القاهرة الرابع والعشرون للتصوير والنحت (مايو سنة ١٩٤٤)

أبرز صور هذا المعرض من صنع الأساتذة لبيب تادرس وحسن محمد البناني وحسين بيكار ونظير خليل ، والآنسات مرجريت نزيك وإحسان خليل وج . كوهين

والذي يتأمل صور المرحوم لبيب تادرس يحس أن الفن قد خسر خسارة كبيرة بوفاة هـذا الفنان الناضج الذي كان بينه وبين الطبيعة صلة روحية عميقة تنعكس على صوره في جلاء ووضوح وتضفي عليها سر الفن ، ذلك السر الذي يحاول الرائي استكناهه فيفشل

أما حسني محمد البناني فهو فنان لا شك في مقدرته ، خصوصاً في « ظل التكعيبة » و « منظر ريفي » و « مراكب » تلك الصور الرائعة التي تحـاول سبر غورها فلا تستطيع ، لأن فيها قلب فنان ، وقلب الفنان أعمق من أن يسبر غوره .

وللأستاذ حسين بيكار ثلاث لوحات تنبض حياة وقوة : منها « حديقة الحب بتطوان » التي تتمثل فيها فرحة الألوان ، وتحس إذ تنظر إليها فرحة الفنان نفسه والفرشاة في يده يودع لوحته ما أودعته الطبيعة قلبه . ومنها (حرم الدكتور أبو ذكرى) تلك الآية الرائعة التي تتمثل في تقاطيعها الأنوثة الشرقية المحتشمة والجمال المصري الصميم ، تطل من ورائه روح عذبة وادعة تمكن من إبرازها فنان متوفز الشعور والإحساس

أما « زوريان أشود » ، فقد وفق تماماً في قطعته الحية « زنجية » ، وهي تمثل امرأة عارية ، وهي ليست امرأة عارية حقاً بل « شكل » مجرد شكل اتخذه الفنان رمزاً لعاطفة ، وأداة لإبراز نبضات قلب . وهي نبضات غامضة مستترة توحيها الحياة الداخلية الغامضة المستترة ، فتبرز العاطفة من وراء الشكل ، وتنسى المرأة وتذكر القلب الحي المودع في التقاسيم والأوضاع

كما أن « السيدة ا . ب » وهي من رسمه أيضاً صورة ناضجة حية ، ونحن إذ نطلق كلمة (حية) على صورة شخصية Portait نعني أن الصورة لا تمثل وجهاً من الوجوه ، إنما تمثل روحاً كما تتمثل في مرآة روح أخرى هي روح الفنان

واسترعتني صور « نظير خليل وهبه » لما فيها من عمق الإحساس وقوة الأداء والفهم التام لمعنى الفن ، فلا إسـفاف هناك أو اضطراب أو خلل في كل ما رسم

أما صور « تيتا » — الآنسة مرجريت نزيك — فيتمثل فيها الجلال الفني الذي ينبع من تقديس وإكبار الفنانة لفنها ، ومن هنا تبدو صورها كصلوات في محراب الفن ، صلوات للجمال الأبدي والحقائق الخالدة التي تكمن وراء الأشكال والتقاسيم والأوضاع ، وصورها الثلاث تدل على دراية ونضوج وعاطفة قوية ، ولكنها مستقرة لا تعرف الطفرات أو سورات الإلهام ، ومن هنا ألوانها الهادئة الرزينة

وقد وقفت وقفة طويلة أمام صـور الآنسة إحسان خليل : إن هذه الفتاة فنانة حتى أطراف أناملها ، والذي يتأمل المناظر الطبيعية التي رسمتها يحس أنها تتناول الفرشاة بقلبها الرقيق لا بأصابع يديها ، ومن حسن حظ «إحسان» أن صور الآنسة عايشة عبد العال قد وضعت إلى جانب صورها ، فأظهرت تماماً مميزات « إحسان » وتفوقها !

والآنسة ج . كوهين متأثرة بالفنان (روودان) بعض الشيء ، ولكنها فنانة مجيدة ناضجة تمام النضج ، وقد عرضت الآنسة ا . شمليان لوحتين تعتبر إحداهما من خير ما في المعرض من صور الطبيعة الصامتة ، والثانية لا بأس بها

وأحب أن أقول كلمة عن محمود سعيد بك فقد عرض ثلاث لوحات ، وكلنا يعرف مكانة هذا الفنان الكبير الذي سبق أن أبدينا إعجابنا به . ولكن إذا كانت هذه اللوحات تعبر عن الفنان محمود سعيد في طوره الحالي ، فلا شك أن فنه قد أصيب بالخرس . وقد خلا فن محمود سعيد في السنوات الأخيرة من التنويع والتجديد ، وليس في صوره التي رأيناها في هذا المعرض تلك العذوبة أو القوة التي كانت تطالعنا بها صوره السابقة

كما أن الآنسة مرجريت نخلة قد ظلمت نفسها بعرضها ثلاث لوحات لا تمثل فنها كل التمثيل ، وقد رأينا لها مجموعة قوية من الصور في معرض الفن النسائي الذي أقيم في نادي سيدات القاهرة منذ شهرين أو ثلاثة ، ولذا أوثر عدم الحديث عنها

***

وقد عرض الأستاذ الحسين فوزي ١٤ لوحة ، وإذا كان

قد نجح في واحدة أو اثنتين على الأكثر ، فلا شك أنه نجاح الصدفة لا نجاح القدرة . ومن الغريب حقاً أن تمثر على صورة للأستاذ الشيتى عنوانها « الأمومة » ، ويبدو على وجه الأم وله العاشقة الحيرى ، وعلى وجه الطفل الرضيع مشاغل وأعباء ونستون تشرشل ، ونحن نعترف للأستاذ الشيتى بالقدرة في الرسم والتلوين فقط ... أما الروح الفنية فلا

وقد اختارت الآنسة « أندريه ساسون » موضوعات يسهل ظهور الفشل فيها ، فظهر واضحاً جلياً إلا في صورة واحدة وهي « فاطمة » ، ففيها شيء من البراعة . وإذا لم يكن في صور الأستاذ يوسف كامل ما يصدم العين أو الإحساس فليس فيها ما يثير الانتباه أو يحرك النشوة الفنية

أما صور الأستاذ سند بسطا فالفن منها براء ، فهي لا تدل إلا على عاطفة قلقة باهتة شاحبة ، ولا تنبئ إلا عن الاجتهاد الذي يصطدم بحدود الموهبة وحدود القدرة على الأداء فيفشل !

. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فيجب أن نذكر أن الإمعان في الصقل يذهب برواء الفن ويطمس معالم العاطفة فيه كما حدث في صور محمود سعيد والسيدة فتحية ذهني

ومن بين الذين نجحوا في الصور الشخصية Porraits الأستاذ محمد حسن ، فليس هناك من ينكر مقدرته ، والسيدة اعتماد الطرابلسي في « رأس الأميرة فريال » والأستاذ بدوي اسكندر في « ابتسامة » التي تفيض شباباً وبشراً وحياة ، والأستاذ حسين محمد بدوى في « الجدة » وصلاح الدين طاهر في « توفيق الحكيم » والسيدة رايس مولى في « صورة للارتن » والأستاذ أحمد صبرى في قطعتين من ثلاث ، وسمسونيان سيمون في « رأس طفل » ، وإجادة الأخير لصور الطبيعة الصامتة خير بكثير من إجادته للمناظر الطبيعية أو الصور الشخصية ؛ وقد عرض جورج ميخائيل لوحتين إحداهما لفتاة والأخرى لفلاح ، وكلاهما فياض بالمعاني

* * *

وخير من رسموا مناظر الطبيعة هم : الآنسة إحسان خليل في لوحاتها الثلاث ، والأستاذ نجيب أسعد ، وله قطعة واحدة جيدة ، هي « في الحديقة » ، أما بقية مجموعته فهي دون المتوسط بكثير . وسعيد حامد الصدر في « شجر » و « في الحديقة » ، والأستاذ نعيم جاب الله في « منظر ريفي » . كما يجب ذكر زهور الأستاذ شفيق رزق فهي خير ما عرض من نوعه في المعرض

* * *

وهناك مجموعة أخرى من الرسامين نلمح فيهم الروح الفنية ، ولكنهم لم يصلوا بعد إلى المستوى الذي نرجوه لهم ، ونأمل أن نرى لهم صوراً أحسن في المعارض المقبلة ، وهم الأساتذة صدق الجباخنجي ، وكامل مصطفى محمد ، ومصطفى المهدى ، وسمسونيان سيمون ، والآنسات مفيدة شعبان وزينب محمد علي

أما فن النحت فأعتقد أن تماثيل الأستاذ جمال سجيني هي خير ما في المعرض ، ويأتي بعده الأستاذ فتحي محمود

وآمل أن أستطيع قريباً الكتابة في توسع وإفاضة عن بعض الفنانين الذين أبدينا إعجابنا بهم ، اعترافاً بفضلهم ومقدرتهم

نصري عطا الله سوسى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٦٥ — لكنه أسد

(إخبار العلماء بأخبار الحكما) للقفطي : تفاخر ابرخس الشاعر اليوناني وأوميرس ، ففخر على أوميرس بكثرة الشعر وسرعة عمله وعيره ببطء عمله وقلة شعره . فقال أوميرس : بلغنا أن خنزيرة بإنطاكية عيرت لبوة بطول زمن الحمل وقلة الولد وافتخرت عليها بضد ذلك . فقالت اللبوة : لقد صدقت ؛ إني ألد الولد بعد الولد لكنه أسد ...

٥٦٦ — واستمرض الله يمرضك

في العقد :

قال الأعمش : أتاني عبد الله بن سعيد بن أبي بكر فقال لي : ألا تعجب ، جاءني رجل فقال : دلني على شيء إذا أكلته أمرضني ، فقد استبطأت العلة ، وأحببت أن أعتل فأوجر

فقلت له : سل الله العافية ، واستدم النعمة ؛ فإن من شكر على النعمة كمن صبر على البلية ، فألح علي ، فقلت له : كل السمك واشرب نبيذ الزبيب ، ونم في الشمس ، واستمرض الله يمرضك إن شاء الله

٥٦٧ — لرخص فيه حفنة حفنة

في (تاريخ بغداد) عبد الله بن هلال البزاز : أكل أشعب مع سالم بن الجعد تمراً ، فجعل يأكل زوجاً زوجاً ، فقال سالم : إن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد نهى عن القِران[1] في التمر

فقال : اسكت ، والله لو رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) رداءة هذا التمر لرخص فيه حفنة ، حفنة ...

(١) في الحديث في أكل التمر لا قران ولا تفتيش ، أي لا يقرن بين تمرتين (الأساس) وإنما نهى عنه ، لأن فيه شرها وذلك يزري بصاحبه (النهاية)

٥٦٨ — وأنت أنت وطنبورك طنبورك

في (مسالك الأبصار) للعمري : قال جحظة البرمكي :

كنت بحضرة إسماعيل بن بلبل (الوزير) بواسط فلما انصرفت رافقني البحتري ، وكان قد زاره ، فلما وصلنا إلى (دير قُنّى)[1] قال لي : ويحك يا جحظة ! هذا دير قُنّى ، وهو من الحسن والطيب على ما ترى ، وأنت أنت ، وطنبورك طنبورك ! فهل لك أن تقيم به اليوم فنشرب ونطرب وننعم ونلعب ؟ فقلت : نعم ، ولم يكن معنا نبيذ ، فسألنا عمن يقرب منا من العمال (الولاة) ، فكتب إليه البحتري :

يا ابن عيسى بن فَرُّخان والفرس (م) بعيسى بن فَرُّخان افتخار
قد حللنا بدير قُنّى وما نبغي (م) قرى غير أن يكون عُقار
فاسق من حيث كان يشرب كسرى (م)
عصبة كلهم ظماء حرار
من كُمَيت توات الشمس منها ما تولته من سواها النار[2]

فوجه إليه عشرين دَنّاً شراباً ، ومئة دجاجة ، وعشرين حملا ، وفاكهة . وعملت في الأبيات لحناً ، فلم نزل نشرب عليه يومنا وليلتنا

٥٦٩ — استنباط

قال السبكي (صاحب الطبقات) استنبط كمال الدين القليوبي شارح (التنبيه) من قوله تعالى : (يا أيها النبي ، قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين : يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) — أن ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الأكمام ، وكبر العمامة ، ولبس الطيالس حسن ، وإن لم يفعله السلف ، لأن فيه تمييزاً لهم يعرفون به ، ويلتفت إلى فتاويهم وأقوالهم

(١) على ستة عشر فرسخاً من بغداد وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان (معجم البلدان)

(٢) الكميت : الخمر لما فيها من سواد وحمرة ، والكمتة لون بين السواد والحمرة (القاموس ، اللسان) قال قوم : الكمت معرب وأصله بالفارسية كميته أي خلط كأنه اجتمع فيه لونان سواد وحمرة (شرح أدب الكتاب لموهوب الجواليقي)

البخلاء . . .

للأستاذ على الجندى

الناسُ فى اللؤم أنواعٌ ، وشرُّهمو
عندى البخيلُ . ألا سُحقاً لمن بَخِلاَ
يا ليته حين لا تَنْدَى أنامِلُهُ
بالسائل النَّزْر يندَى وجهُه خجلا
أعجوبةٌ فى الوَرَى أنَّ البخيلَ — على
فَقْد الرُّجُولة — يُدْعَى بينهم رجُلا
يا بُؤسَ لِلحُرِّ أعمَتْه مطامِعُه
فصاغَ من ماله غُلاً(1) — له — قَبِلاَ
هذا الجنونُ ! وكم فى الناس ذو خَبَل
تُخْفِى ظَواهِرُهُ عن عينكَ الخَبَلاَ
الجهل والبخل : ذا داءٌ يُطَبُّ له وذا عَياءٌ ، وشر الداء ما قتلا
يَشْقَى البخيل على الدنيا وفى يده أسبابُ نعمته لو أنه عقلا
تجرى له «المُشْتَرِى»(2) سعداً ، فما جَلُهُ
يطبعه النَّحس حتى رَدَّهُ «زُحَلاَ»
يُمْسِى ويُصْبِح مجهودًا ، وليس له
ممَّا جَنَتْه يَدَاه غَيرُ ما أَكَلاَ
ويَجْرع الصَّابَ مُختارًا ، وثروتُه
تجرى ينابيعُها من تحته عَسَلاَ
لاقى العقوبة فى الدنيا مُعجَّلةً كذلك الشر يأتى أهله عجلا

ماذا على الموت لو أخنى بِكَلْكَلِهِ على اللئام ، فنشفى منهمُ الغُللا
ما نَفع زِعنِفةٍ بالمال قد فُتِنوا
لا يحسنون — سوى تحصيله — عملا
لو كان لله ما للمال عندَهُمو
من الجلال ، سارُوا فى التُّقَى مثلا
ماتوا من الفقر خوفاً قبل موتهمو
والخوف موتٌ وَحِىٌّ(3) يسبق الأجلا

(1) قل الفل : أصابه القمل فهو قل
(2) من كواكب السعود (3) السريع

من أغانى الشاعر الحائر

«أغنيــة روح»

للأديب ابراهيم محمد نجا

مات قيثارى ، ففى قلبى غناءْ وبعينى دموع الفرحِ
واستمع منى أغاريد الصفاءْ وأناشيد الهوى والمرحِ
مرت الأيام ، أيام الشقاءْ وأتى عهد الطلا والقدح
واستفاق القلب من أحزانهِ
واستراح الروح من أسر الشجونْ
وهفا قلبى إلى أفنانهِ بلبلاً يصدح باللحن الحنونْ

ذهب الليل بأحزان الظلامْ وأتى الفجر بأفراح الضياءْ
وتغنى بأغانىّ الغرامْ كل قلب بات محزون المساءْ
فإذا روحى الشوق المستهامْ سابح ما بين أطياف الفضاءْ
وإذا الدنيا كما كنت أراها فى رؤى الحب وأحلام الكرى
فكأن الفن بالحسن كساها أو براها الله خلقاً آخرا

ها هى الأزهار تندى بالجمالْ وهى نشوى بالضياء الغامرِ
كعذارى راقصات فى الخيالْ أو كأحلام بقلب الشاعرِ
زفها النور ، وزفتها الظلال للفراش المستهام الطائرْ
ونسيم الفجر من لهفته ... يحتسى الأنداء من ثغر الزهور
والغدير الطلق من نشوته ... يتثنى بين أسراب الطيور

صور تفتننى كل صباحْ وتوافينى بفن باهرِ
وأنا الشاعر كم غنَّى وناحْ للجمال العبقرى الساحر
فتولت بأغانيه الرياحْ فى فضاء ما له من آخر
أين منها صورة الماضى الدفينْ فى قلوب موجعات داميه ؟ !
صورة ينسجها الليل الحزينْ من خيوط الذكريات الباكيه !

إيه يا قلبىَ دع ما قد مضى من ليالى اليأس والحزن الوجيع
الشتاء الجهم ولّى وانقضى والربيع الطلق غنى فى الربوع
آه لو عدت فؤاداً نابضاً بالهوى العذرى من بعد الهجوع
رب غصن قد تعرَّى فاكتسى فلمَ اليأس؟ وما هذا الشحوب؟



إلى الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد قرأت مقالكم الشائق في قضية نسب زياد في مجلة « الرسالة » ؛ ولقد كنت أرجو وأنا ألمس في أبحاثكم نفوذ النظر وثاقب الفكر أن لا تفوتكم في هذه القضية نقطة وجيهة وذات خطورة ، وهي احتمال التلفيق وأثر الحزازات السياسية والحزبية

فمعلوم أن ما وصل إلينا من الروايات في هذه الموضوع وغيره قد دُون في عهد الدولة العباسية ؛ ومعلوم أن كثيراً مما دون في هذا العهد ، مما يتصل خاصة بالدولة الأموية وكبار رجالاتها ، قد تأثر إلى حد كبير بتلك الحزازات ، وأن الذي يمعن النظر يلمس تعمد التشويه والتسوىء والمبالغة والإعظام قوياً بارزاً وزياد من كبار رجالات هذه الدولة وموطديها ، وقد كان في ولايته للعراق في عهدها صارماً شديداً ؛ ثم خلفه ابنه فيها فسار من جهته على غرار أبيه ، ووقعت من جهة أخرى في عهده حادثة كربلاء الأليمة التي جلبت عليه نقمة الناس ، وانتشرت عنه بسببها أسوأ الأحاديث

فهذا من وجه عام من شأنه أن يدعو الباحثين إلى التحفظ والتوقف والارتياب في رواية نسب زياد واستلحاقه لأن لحمة هذه الرواية وسداها مطعن وغمز وتشويه وتسوىء

ومن العجيب أننا نجد الروايات تغمز نسب عمرو بن العاص بما غمزت به نسب زياد بشكل ما ؛ وهو من أعاظم رجال الدولة الأموية وموطديها ، ونجدها كذلك تسخف في وصف ظروف ولادة الحجاج وخَلْقه ورضاعه سخفاً مضحكا ، وهو صنو الرجلين العظيمين الأولين في هذه الدولة ؛ بل ونجدها لا تدع رجلاً من كبار رجالات وقواد هذه الدولة إلا غمزته في أمانته أو عرضه أو دينه أو خلقه ؛ وإنه لمن الحق أن يحمل هذا بوجه عام الباحثين في قضية من القضايا المتصلة بالدولة الأموية وكبار شخصياتها إلى التحفظ والتوقف والارتياب ، وأن لا تجعله يكتفي بتوجيه وتخريج الروايات والبحث في نطاقها كأنها قضايا مسلَّمة

يضاف إلى هذا أنه إذا أنعم النظر في عناصر رواية نسب زياد خاصة ظهر فيها ثغرات عديدة تؤكد قوة احتمال التلفيق وضلع الحزازات السياسية والحزبية كما أشرنا إلى ذلك آنفاً . ففي عناصر الرواية :

١ – أن زياداً كان يعرف بزياد بن عبيد ، وأنه كان له إخوة من أمه ومن أبيه هذا ؛ فهذا قد ينقض نقطة كون سُميَّة من البغايا العامة ؛ فإذا كان أبو سفيان قد اتصل بها سفاحاً فيكون قد اتصل بها وهي تحت زوج . فكيف يستقيم هذا مع رواية توكيد أبي سفيان أن زياداً من نطفته ؛ وكيف يمكن لأبي سفيان أن يؤكد ذلك من حيث الأصل . على أنه مما يصلح أن يكون موضع تساؤل وارتياب معاً وثغرة كبيرة في الرواية هذا التفصيل الدقيق المروى عن اتصال أبي سفيان بسمية في الطائف في زمن الجاهلية ، وتداول هذا التفصيل ومعرفة شاهده الميانى أبي مريم الخمّار وأدائه الشهادة عنه بعد البعثة النبوية

إن تكن يا قلب قد ذقت الأسى　　فلكم ذاقته من قبل قلوب

لا تلمنى إذ أغنى في الصباح　　بعد ما قد كنت أبكى في المساء
فأنا الشاعر أيامى جراح　　وليالىَّ سهاد وبكاء
فلماذا أترك الصفو المتاح　　بينما أغرق نفسي في الشقاء ؟!
إنها لحظة صفو أجتليها　　في حياة غُشِّيت بالكدر !
إنها زهرة أنس أجتنيها　　بين أشواك الأسى والضجر !

يا ليالى الحب في الماضي البعيد　　هل تعودين ؟ فقد عاد الأمل
وكأنى اليوم أحيا من جديد　　للأماني ... للأغاني ... للغزل
ولقد حطَّمت ماتيك القيود　　وتهيأت لأغلال القبل
فتعالى ... كل أيامي تهون　　غير أيام الغرام الأول
إنها – والعمر شجو وأنين –　　فرحةُ الزهر ، وشدوُ البلبل

يا حبيبي ها أنا بين يديك　　لهفة كبرى ، وشوقاً ، وهياما
وفؤادى ما هفا إلا إليك　　أوشكا – إلا ليتيك – الغراما
فإذا ما جاء واستاق لديك　　فاحتضنه يا حبيبي ... ثم ناما
وإذا جاء الصباح الباسمُ　　فاحبُه صفو الحنان الطاهر
إنه قلب رقيق حالم　　إنه قلبيَ ... قلب الشاعر :

بنحو خمسة وخمسين عاماً ورواية تلك الصورة البذيئة عن سمية بعد اتصال أبي سفيان بها ...

٢ — أن أبا سفيان قد اتصل بسمية في الجاهلية وأن زياداً قد ولد أيضاً فيها . ولقد كان استلحاق أولاد السفاح في هذا العهد سائغاً جارياً لا غضاضة فيه ولا مطعن : وقد زعمت رواية نسب عمرو بن العاص أنه ولد سفاح وأن أباه قد استلحقه ؛ والعاص بن وائل السهمي والد عمرو من كبار شخصيات وبيوتات قريش ؛ فالقول بأن أبا سفيان قد أنف من استلحاق زياد لا يستقيم مع السائغ الجاري

٣ — لم تصرح الرواية أن أبا سفيان قال للامام علي إن زياداً ابنه حينما أعجب الإمام بموقفه الخطابي في خلافة عمر ؛ وكل ما ذكرته قوله إنه يعرف أباه ؛ فكيف عرف أنه عنى نفسه حتى أنذره بضرب الخليفة ؟ ثم إذا كان الإمام قد عرف ذلك — لأن هناك رواية فيها إيماء أوضح — وكان في اجتهاده أن تصريح أبي سفيان موجب لحده ؛ فهل كان يسكت عنه وهو المشهور بالشدة في مثل هذه الأمور . هذا مع أن في رواية تهديد الإمام نبرة أخرى ، لأن اتصال أبي سفيان بسمية وولادة زياد مما كان في الجاهلية والإمام أجل من أن يجهل أنه لا حد ولا بأس على أبي سفيان ، لأن إسلامه قد جب ما قبله . ثم أليس هنا موضع تساؤل وعجب عن ذيوع حديث جرى بين الإمام وأبي سفيان خاطفاً عابراً وغدوه من الروايات المتداولة على ألسنة الرواة ؟

٤ — إذا فرضنا أن أبا سفيان قد أنف من استلحاق زياد عند ولادته مع تأكده أنه ابنه وأنه أعجب به فيما بعد فإنه لم يكن هناك مانع من جهة ولا مطعن من جهة أخرى في استلحاقه لأن الحادث مما يتصل أصلاً في الجاهلية ، وقد أقر الإسلام أنساب الجاهلية على علاتها

٥ — لقد كان زياد والياً من ولاة الإمام ، فهل يعقل عاقل متصف يعرف طبيعة ورع الإمام وتحفظه وتشدده ، ويعرف ما كان ناشباً بينه وبين معاوية بن أبي سفيان أن يستخدم شخصاً يعرف أنه ابن سفاح أولاً ويعرف أنه ابن أبي سفيان وأخو معاوية ثانياً

٦ — ويخيل إلي بالإضافة إلى هذا كله أن زياداً المعروف في شدته وقوة شخصيته والذي كان نابغة عبقرياً منذ خلافة عمر ، ثم كان والياً من ولاة الإمام علي ليأنف أن يعلن على رؤوس الأشهاد وفي مجلس شرعي أنه ابن زنا وأن أمه بغي ، ولو كان ذلك بسبيل التحاقه بنسب أبي سفيان ، وأن معاوية الملك العربي السلم العظيم ليأنف أن تسوأ سمعة أبيه واسمه في هذه المناسبة مهما كان الباعث السياسي ، كما أنه ليس من ضرورة إلى ذلك ، وزياد هو ما هو من العبقرية والنبوغ وقوة الشخصية ، ومعاوية هو ما هو من الدهاء والعقل والحلم إلى تلك الفضيحة الخالدة على الدهر للاثنين معاً لتكون وسيلة تضامن وتناصر بينهما

هذا ما عن لي أن أعلق به عساكم تتفضلون ببيان رأيكم توفية للموضوع الطريف الذي طرقتموه ولكم الشكر والاحترام

محمد عزة

في القافية

جاء في قصيدة الأستاذ محمود الخفيف « جمال وشوك » بالعدد ٥٧٠ من الرسالة يصف شجرة الصبار :

وحشية ما اتخذت من حلى   إلا التي تنسبها للمُحلّى
يارب حسن إذ يرى عاطلاً   أصالة السحر به أبرزت
جماله فهو يرى أجملا

وفي قافية الشطر الثالث خطأ يسمونه « سناد التأسيس » لأن ألف « عاطلاً » تأسيس — والتأسيس ألف في كلمة الروي بينها وبينه حرف متحرك — ومتى أسست قافية في قصيدة وجب تأسيس سائر القوافي

ولو أنصف الشاعر لقال

« يارب حسن حينما عطّلا »

أو نحو ذلك .

(بني سويف) محمد محمود رضوان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)